الفصل الرابع

التيار الدينى فى الثورة العرابية

١٨٨١-١٨٨٢

لطيفة محمد سالم

يُعد التيار الدينى فى الثورة العرابية المحور الرئيسى الذى أسهم بدور جوهرى فى كل خطوة أُقدمت عليها الثورة، وقد تمثل فى الأزهر، وفى تلك المهمة التى أُلقيت على عاتق الصفوة المستنيرة من ذوى التكوين الدينى المتحرر من الجمود، وفى مقياس الارتباط بالدولة العثمانية.

الأزهر

يُمثل الأزهر الوعاء الحاضن للعلماء، وهو الرمز الدينى على الأرض المصرية، وإليه يرجع الفضل فى الحفاظ على هُوية مصر الإسلامية، ومنه تخرج معظم القادة والمفكرين، وفى كنفه ولدت الحركة الوطنية ضد المعتدين. وقد بدأت بواكير الرياح تهب عليه منذ بداية القرن التاسع عشر، ووضحت معالمها مع الستينات من هذا القرن. ومما لا شك فيه أن الأفغانى ترك بصماته على حركة التجديد داخل الأزهر رغم الفترة القصيرة التى قضاها بين جدرانه، ومن ثم سرت روح المعاصرة بين الأزهريين، وأصبح لديهم المقومات التى تمكنهم من أن يلعبوا الدور الإيجابى فى ديناميكية المجتمع عندما تتاح الفرصة لهم.

وبالإضافة إلى ذلك التحول الذى طرأ على الأزهريين ، كانت هناك تلك الظروف الصعبة التى عاشوها كبقية المصريين ، فخاضوا لسياسة الدولة - خاصة إبان حكم الخديوى إسماعيل - التى مارست الضغوط على المحكومين، وعلى سبيل المثال فإنهم ذاقوا الهوان من الضرائب التى أُجبروا على دفعها، ومن كان يعجز عن السداد ، فالجزاء الفلقة والكرباج ، وارتفعت شكواهم . واستنكروا استخدام هذا الأسلوب مع العلماء[١].

ومع صحوة المعارضة ، شارك الأزهريون فى عدم الرضا عن الأوضاع

القائمة ، وساءهم التدخل الأجنبى الذى تمخض عنه إشراك ناظرين أجنبيين - إنجليزى وفرنسى - فى الحكومة الخديوية، إذ أيقنوا أن ما يحدث يُمثل تعارضاً مع الشريعة الإسلامية[٢]. ونزل إلى هذا الميدان الشيخ البكرى الذى اتقد نشاطه مع انتفاضة الضباط فى فبراير ١٨٧٩ ، وراح يلتقى بالخديو تارة وبالقنصل الإنجليزى تارة أخرى محاولة منه لوضع حد للتدخل الأجنبى فى شئون مصر[٣]. كما قامت حركة فى الأزهر تطالب بعزل إسماعيل على أساس أنه سلك سلوكاً مخالفاً للشريعة الإسلامية لاستبداده بالمصريين وتماديه فى ظلمهم[٤]. واستمر الأزهريون على موقفهم عندما تسلم توفيق خديوية مصر لما صاحب ذلك من مزيد من التوغل الأجنبى.

والحقيقة أن الكثير من علماء الأزهر قد تعلقت أنفسهم بتعاليم الأفغانى الذى راح يبثها ويُعمقها فى مثقفى مصر بعد أن ترك حلقاته فى الأزهر ومضى يجمعهم فى جلساته العامة . وبطبيعة الحال فإن الجوهر الذى اعتمد عليه فى رسالته انصب على الرؤية الإسلامية ، فتزعم حركة الجامعة الإسلامية ، ونمَى الرأى العام ، لكنه فى الوقت نفسه ركز على الحياة النيابية وتقييد سلطة الحاكم والفصل بين السلطات ، فكان بذلك " واضع أساس الديمقراطية المدعمة بالإسلام "[٥]. أيضاً أكد أن السبيل للإصلاح هو الثورة ، وراح يحث المصريين عليها ، فانتشر هذا التيار داخل المجتمع عن طريق تلاميذه الذين نقلوا ما تلقوه على يديه إلى ذويهم[٦]. ومن اللافت للنظر أنه من كان يُعارضه سرعان ما انطوى تحت لوائه ، ويذكر الهلباوى- وكان من طلبة الأزهر المناوئين له - كيف تمكن الأفغانى من جذبه إليه فيقول " وانضممت بعد شهرين أو ثلاثة إلى الطلبة الذين يتلقون علوم الفلسفة والمنطق والبلاغة والرياضة ، ولم ألبث أن كنت من أوائل المواظبين على دروسه "[٧]. وأثمرت مجهودات الأفغانى إذ سرت روح الثورة بين المصريين حيث إن ما بذره بين مريديه قد أينع وازدهر ووضح ذلك تماماً فى شخصيتى محمد عبده وعبد الله النديم اللذين استكملا مسيرة أستاذهما.

وأسهم الأزهريون فى الجمعيات التى أُنشئت أثناء هذه الفترة وأخذت على عاتقها تفتيح الأذهان ، فكانوا من روادها مع باقى مثقفى مصر ، وقد ألقى النديم فيها خطبه الحماسية التى ألهبت النفوس ، كما استمتع حاضروها بخطب محمد عبده التى نفذت إلى القلوب وحركت فيها النوازع الداخلية[٨].

وعندما بدأت الخطوات العملية للثورة العرابية ، كان الأزهريون من

المؤيدين والمساندين لها ، وبطبيعة الحال فإن لهذا ثقله وعمقه وقوته ، ومن ثم أدرك القائمون على الثورة الأهمية القصوى لذلك التلاحم مع رجال الدين للدراية التامة بتأثيرهم الفعال على قوى الشعب ، وللمركز الذى يتمتع به الأزهر على مر العصور باعتباره رمزاً للكفاح الوطنى . وقد توصلت لجنة التحقيق عقب هزيمة الثورة إلى تلك العلاقة المبكرة التى ربطت الشيخ محمد الهجرسى - وهو أزهرى مثقف وصاحب عقلية متفتحة - بعرابى ، وأيضاً كانت له الصلات مع بلنت - السياسى الإنجليزى - كباقى مثقفى الثورة[٩].

وبعد حادثة قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١، وازدياد النشاط الثورى حيث كثفت الاجتماعات التى عقدها عرابى وقام فيها خطيباً، كان للأزهريين نسبتهم بين الحاضرين، إذ تفاعلوا مع الموضوعات التى طرحت وانصبت على مهاجمة النفوذ الأجنبى. وعندما أخذت عملية المد الثورى طريقها - قبيل التاسع من سبتمبر ١٨٨١ - لإسقاط نظارة رياض وتشكيل مجلس نيابى وزيادة عدد الجيش، بين عرابى صراحة القوة التى يعتمد عليها فى فرض هذه الخطوة الثورية، وقد تصدرها العلماء[١٠]. وبالتالى فإن المنشور الذى دار فى البلاد كلها إنابة عرابى من الأمة فى تحقيق مطالبها أصبح مؤيداً ومساندا من هؤلاء العلماء.

وكان الأزهريون من بين الموقعين على العرائض التى رُفعت لشريف تناشده قبول النظارة لإنقاذ مصر من رق العبودية ، بعد أن تعهدوا له - على رأسهم الشيخ على الليثى والشيخ الصباحى والشيخ أحمد محمود - مع الأعيان بإطاعة الجيش لأوامره[١١]. وفى أثناء إجراء عملية الانتخابات ، أسهموا بنصيب وافر فى نجاح مرشحى الثورة[١٢]. ويوم افتتاح مجلس النواب جاءت خطب الجمعة فى مساجد مصر جميعها لتتحدث عن الشورى فى الإسلام ومميزاتها والاقتداء بالرسول الكريم (ﷺ) فى تطبيقها والالتزام بها[١٣].

أيضاً شارك العلماء فى الاحتفالات التى أُقيمت بهذه المناسبة فى طول البلاد وعرضها[١٤] . كما حضروا تلك الاجتماعات المتواصلة التى كانت تُعقد فى بيت عرابى الذى عُد أول بيت للأمة فى تاريخ مصر الحديث ، ويذكر شاهد عيان " وكنت كلما مررت به أرى الجموع داخلة إليه وخارجة منه "[١٥] ، وبالطبع كان للأزهريين الثقل فيها.

ومع الثورية التى انخرط فيها الأزهريون ، والرغبة التى نبعت من قادة

الثورة بشأن إقصاء الرافضين للثورة ، اتجهت الأنظار إلى داخل الأزهر لعزل الشيخ محمد العباسى الذى كان يتولى الإفتاء ومشيخة الأزهر ، ومن ثم طلب عشرة آلاف من الأزهريين استبعاده[١٦]. وتجمعت أسباب التخلص منه فى أنه يمتلك ناصية الإفتاء وعلى علاقة طيبة بالخديو ، وعليه يُمكن أن يستصدر منه الأخير فتوى تخالف ما أقدمت عليه الثورة خاصة بشأن الدستور[١٧].

ومضى السعى من أجل اتباع نظام الانتخاب لهذا المنصب الأزهرى المرموق ، فشكلت لجنة لهذا الغرض ، وجاء تقريرها بفصل الشيخ محمد العباسى الحنفي من المشيخة وتعيين آخر شافعى يختاره كبار العلماء ، وقد اعتبر شريف أن ذلك يُعد " ثورة للعلماء "[١٨]. ويرضخ توفيق ويُبين لمندوبه في الآستانة سبب موافقته " نظراً للكراهية والنفور رأينا عزله من المشيخة تسكيناً للفساد ودفعاً للقيل والقال ، وأمرنا بترتيب هيئة من العلماء قوامها ثلاثة يُنتخبون من المذاهب الثلاثة لانتخاب شيخ بدلاً عنه يكون على المذهب الشافعى ، وقد نفذ ذلك بالفعل "[١٩].

وأصبح البديل شافعياً كرغبة الأزهريين وتأييد الثوريين ، وصدر الأمر بتعيين الشيخ الإمبابى شيخاً على الجامع الأزهر[٢٠]. وهو شخصية غير تقليدية، له الباع فى منهج الاجتهاد وصاحب سمعة طيبة ومكانة اجتماعية بارزة ، لذا فقد تجمعت العوامل لتمكنه من العمل بثقله مع الثورة . ومثل هذا الإجراء حدثاً جللاً حتى أن الدوائر السياسية اتهمت شريف بالضعف لتركه الثوار يفرضون رأيهم ويُحققون رغبتهم ، فيقول تقرير نمساوى " إن عزل الشيخ العباسى وتعيين خلف له هو الشيخ الإمبابى لا مفسر له سوى ضعف حكومة شريف ... وأن السبب فى اختيار الأخير لم يكن إلا من أجل خدمة أهداف الثورة"[٢١] ، بمعنى أن يد القادة الثوار كانت أقوى من النظارة القائمة . وتحور الأزهر تماماً تحت الرئاسة الجديدة ، ومضى فى طريقه الذى اتسم بالروح الحماسية التى دبت وأصبحت قلباً وقالباً مع الثورة.

ومع تطور الأحداث الثورية ازدادت حمية الأزهريين ، فحينما بدأ التدخل الأنجلو فرنسى لضرب الثورة ، نزلوا بثقلهم لميدان الكفاح ، حيث تولوا إضفاء الشرعية على خطوات الثورة وراحوا يغذونها بأسلوبهم ، وكان لهم التأثير القوى على جموع المصريين ، ذلك التأثير الذى أدركه الجميع حتى لقد وصفتهم صحيفة التيمز اللندنية بأنهم " تلك الأعداد الكبيرة من رجال الدين وشيوخ الأزهر الذين لهم الاحترام الكامل بين صفوف الشعب "[٢٢].

وفى حقيقة الأمر فقد كان لعلماء الدين دورهم الإيجابى فى تعبئة قوى المصريين الذين يتسمون بذلك الطابع القوى من الإيمان العميق ، وبالتالى أصبح التأثير الدينى عليهم سهلاً على أساس أن الإسلام دين ثورة على الأوضاع الفاسدة ، ويرفض الظلم والعدوان ويدعو إلى محاسبة الحاكم إذا ظلم رعيته ، وعزله إذا استمر فى الظلم ، ومن هنا كان العامل الدينى واضحاً فى الثورة.

وعاش الأزهريون خطوة بخطوة مع الثورة ، فهم يرفضون وجود قطع الأسطولين الإنجليزى والفرنسى فى مياه الإسكندرية ، ويُعارضون عزل عرابى من منصبه ، وكانوا من بين من حضروا إلى العاصمة لتقديم العرائض محتجين على مذكرة مايو ١٨٨٢ المشتركة التى صدرت عن لندن وباريس مطالبين بعزل الخديوى الذى قبل هذا الوضع ، ويُقر عرابى فى محضر التحقيق معه " إن جميع المسلمين قد تأثروا بها وأنكروا غاية الإنكار .. وأن المحضر المقدم من أهل مصر العاصمة عند تلاوته قام الناس الموجودين من النواب والعلماء الذين لم يسبق ختمهم وختموا عليه فى منزلنا "[٢٣]. بينما يسجل مراسل صحيفة التيمز اللندنية فى القاهرة القول " انطلق الأزهريون ونواب المجلس وأعيان الفلاحين .. جميعهم رافعين شعار رفض المذكرة ، وراغبين فى عودة عرابى"[٢٤].

وشكّل علماء الدين ثقلاً فى الاجتماع الذى عُقد بمنزل سلطان فى ٢٧ مايو ١٨٨٢ إذ أيدوا فيه مهاجمة عرابى للأسرة المالكة[٢٥]. وسرعان ما يتوجه الشيخ العدوى والشيخ البكرى والشيخ السادات وبطريرك الأقباط وحاخام اليهود مع الوفد الذى ذهب للخديو يُطالبه بضرورة عودة عرابى إلى نظارته[٢٦]. ويحمل الشيخ البكرى أمر العودة لقائد الثورة فيذكر " وتوجهنا لمنزل أحمد باشا عرابى فوجدناه غاصص بضباط الجهادية ، فسألنا عنه ، فدلونا على أوضة فدخلت بها فوجدتها ملآنة ، البعض طلبة علم ، والبعض علماء أعرف منهم الشيخ سليم عمر والشيخ حسين الطرابلسى فسلمنا الأمر الكريم للمومى إليه"[٢٧].

ولم يقتصر الأمر على القاهرة فقط حيث مثل العلماء الزعامة الدينية لدى مناطقهم بعد أن أعطاهم رجال الثورة المزيد من السلطة فى تحركاتهم ، وتوافدت على القاهرة البرقيات من رجال الدين فى المديريات تعضد وتؤيد وتبارك خطوات الثورة . وترفض وتشجب التدخل الأجنبى فى الشئون المصرية[٢٨].

وقد ظهرت ثورة الأزهريين المتقدة أثناء ذلك اللقاء الذى تم بين أربعين عالماً ومعهم شيخ الإسلام وبين درويش باشا رئيس البعثة العثمانية الثانية المرسلة إلى مصر إذ ثاروا أمامه وأظهروا استيائهم من الأوضاع القائمة ، وقدموا مطالبهم التى انحصرت فى تثبيت نظارة البارودى ، ورفض المذكرة المشتركة ، وإقصاء الخديوى " لأن أصل الارتباك الحاصل الآن بمصر هو ناشئ من الخديو بسبب قبوله تلك اللائحة ، والدليل الوحيد الذى يُؤكد لنا ذلك أنه استعان على جماعة من المسلمين بأعدائهم الكفار وخالف قول الله تعالى " يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء من دون الله " ، فضلاً عن أنه طلب من الدولتين المدرعات الحربية ، وقبل لائحتهما المخلة بالفرمانات الشاهانية الصريحة ، مع أننا لا نقبل دخولنا تحت سطوة أى دولة كانت غير دولتنا العلية ، ومن يُعارضنا نحن مستعدين لمقابلته بالقوة ، ومعضدين للحزب الوطنى بأموالنا وأنفسنا وأولادنا "[٢٩].

وفى هذا اللقاء ظهرت شخصية الشيخ عليش الذى صرَح بالقول " إننا نخشي أن تنقلب مسألة مصر وتصبح مثل مسألة تونس " وأضاف " إن الجيش قد خلص البلاد من الوقوع فى أيدى الكفار " وأثنى على قادته ووطنيتهم ، كما رفع الشيخ العدوى صوته مردداً ضرورة انسحاب قطع الأسطولين الأجنبيين من المياه المصرية[٣٠].

ومن الواضح أن رجال الدين كانوا يشايعون العسكريين بزعامة عرابى ، وغير راضين عن سلوك الخديوى ، وقد أراد قائد الثورة أن يُضفى الشرعية على تصرفاته تجاه الحاكم ، فأرسل إليهم بالمبررات التى تدين توفيق وتشجعهم على أن يصدروا فتوى شرعية توجب عزله حيث سجل " ما القول فى حاكم مولى من طرف سلطان المسلمين على أن يعدل فى الناس ويقضى بأحكام الله ، فنقض العهد وأحدث الفتن بين المسلمين وشق عصاهم ، ثم انتهى به الأمر إلى أن إخطار ولاية غير المؤمنين على ولاية المؤمنين ، وطلب من الأمم الخارجة عن الدين القويم أن ينفذوا قوتهم فى بلاد حكومته الإسلامية ، وحمل رعاياه على أن يدينوا ويخضعوا لتلك القوة الأجنبية ، وبذل عنايته فى الدفاع عنها ، ولما دعاه المؤمنون للرجوع عن ذلك أبى وامتنع وأصر على الخروج على طاعة السلطان والمروق من الشريعة ، فهل يجوز شرعاً أن يبقى هذا الحاكم حاكماً حتى يُمكن قوة الأجانب من السلطة فى البلاد الإسلامية ، فبهذه الحالة يجب عزله وإقامة بدل له يُحافظ على الشرع ويدافع عنه ، أفيدوا الجواب "[٣١].

ولم يكن الجواب غير معروف ، إذ سبق أن ترددت في الاجتماعات الثورية هذا الأمر ، وكان العلماء ومعهم الأعيان والتجار قد قدموا محررات بأختامهم بوجوب عزل الخديوى بمقتضى الشرع الإسلامى[٣٢]. وبرز فى ذلك المجال الشيخ الإمبابى والشيخ عليش اللذان كان تأثيرهما عميقا على الأزهريين، ويذكر صابونجى -سكرتير بلنت - فى خطاب له فى يونيو ١٨٨٢ وكان شاهد عيان على تلك الأحداث " حدث فى الأزهر حركة شبيهة بالثورة ، وقد حضرت عدة اجتماعات للعلماء ، وكان الغضب فى جميعها شديدا وأكثر المتحدثون من ذكر آيات القرآن والأحاديث النبوية ليثبتوا أن توفيقا غير مناسب ليكون واليا على أمة إسلامية ، ولم يكتفوا بعقد الاجتماعات الخاصة بهم ، بل قرروا أمامى أن يعقدوا اجتماعا عاما فى الأزهر احتجاجا على الإهانة التى لحقت بهم ، وعقدوا الاجتماع بالفعل فى الأزهر حيث تقام الصلاة وطلب من النديم أن يخطب الحاضرين ، وكانوا يزيدون على أربعة آلاف نفس ، وليس عندى من الوقت ما يسمح لى بوصف التأثير الذى أحدثته خطبة النديم "[٣٣].

وتعددت اللقاءات الثورية فى الأزهر ، تلك التى هاجمت الأجانب والحاكم، وأخذ الأزهريون "يسيرون فى الشوارع والطرقات فى شكل مظاهرة يحتجون فيها على الأوضاع ومعاملة الخديوى لبعض الأحرار من علماء الأزهر "[٣٤]. وكان توفيق قد ضاق برجال الدين ، وكثيرا ما حاول توجيه الضربات لهم ثمنا لاشتراكهم فى الثورة ، لكنهم استمروا فى طريقهم ، وأصبحوا أكثر التصاقا بعرابى الذى توهجت كاريزميته وغدا معبودا للشعب . وتتبعت الصحافة تلك الوفود اليومية من شباب الأزهر التى يجتمع بها " مجدد أمر الأمة سعادة أحمد باشا عرابى "[٣٥].

والحقيقة أنه لم يكن هناك اجتماع يخلو من وجود الأزهريين ، وجاءت التقارير والشهادات المقدمة من لجنة التحقيق بعد هزيمة الثورة لتثبت أن " طلبة العلم وشيوخ الأزهر كان منزل عرابى يغص بهم "[٣٦]. وقد قام الشيخ عليش بدور مهم فى تلك الاجتماعات ، وسطر فى محضر اتهامه " إنه من الساعين للهيجان والإفساد المساعد للعصاة فى الاتحاد بهم والتهور فى المحافل والمجامع العمومية والخصوصية بالانتصار لهم والقدح والتنديد فى حق الحضرة الخديوية حتى حصل إفساد الأذهان والأفكار العمومية للدرجة التى وصلت إليها من الاختلال والتعصب الدينى والسياسى "[٣٧]

وواصل الأزهريون طريقهم الثورى ، فقاموا بتختيم المصريين فى توكيل

عرابى للدفاع عن مصر ورفض التدخل الأجنبى[٣٨] ، الذى تمثل فى تلك الإجراءات التى اتخذتها قبل ضرب الإنجليز للإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ ، وعقب قيام الحرب رأى قادة الثورة ضرورة البحث عن وسيلة للوقوف أمام أعداء الثورة ، واستقر رأيهم على تكوين مجلس وطنى من رموز الأمة ، وضم "الرؤساء الروحانيين للديانات"، ودخل تحت جناحيه العلماء لتقييم تصرفات الخديوى التى بلغت مداها ضد الثورة، والنظر فى صلاحية توليه على الأمة الإسلامية، وهل ما قام به يجوز شرعاً. واجتمع المجلس فى ١٧ يوليو ١٨٨٢، وعرض عليه عدة موضوعات ، أولها - الرأى فى سلوك توفيق ، وثانيها - ما يقوم به الإنجليز من عدوان ، وثالثها - ضرورة استمرار التجهيزات الحربية، ورابعها - عزل الخديوى خوفاً من أن يتصرف مثلما فعل باى تونس. ووقف الشيخ عليش وسط المجلس وكبر ثلاث مرات معلناً " قد خلعناه يا قوم .. قد خلعناه، الله أكبر على من طغى وتكبر"، وأعلن الشيخ العدوى أن توفيقاً مرق عن دين الإسلام ويجب خلعه ، وتبعه بطريرك الأقباط الذى ندد بتصرفاته، وقرر المجتمعون وقف أوامر الخديوى لأنه خالف الشرع الشريف ، وقرر المجلس تعيين لجنة من ستة مندوبين من المجلس كان منهم اثنان من العلماء هما الشيخ على نايل والشيخ أحمد كيوه ، ليتوجهوا للإسكندرية لتبليغ قرارات المجلس[٣٩].

وفى اجتماع المجلس العرفى فى ٢٩ يوليو ١٨٨٢ - وكل له اختصاص أعمال الحكومة - للبت فى قرار الخديوى الخاص بعزل عرابى من منصبه ، فاضت ثورية المجتمعين وبرز دور العلماء فى فضح تصرفات توفيق وعاودوا طلب ضرورة توقيف أوامره لأنه خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف ، وساقوا قصة إبراهه وأصحابه كمثل جيد لطغيان الخديوى وعدم إخلاصه وصلاحيته ، كما أقروا مع المجتمعين بقاء عرابى فى نظارة الجهادية[٤٠]. ومع هذا فلم تصدر فتوى شرعية بإسقاط توفيق من على عرش الخديوية ، إذ تلاحقت الأحداث سريعاً ، ولكنه على أية حال اعتبر شبه معزول أمام قوى الشعب .

أما عن موقف علماء الأزهر من العدوان البريطانى على مصر ، فقد تراءى أمام أعينهم غزو التتار والحروب الصليبية ، ومن ثم تعددت نشاطاتهم فى الميدان ، فكان ذهابهم أفواجاً إلى ساحات القتال برئاسة الشيخ العدوى ، وكما تذكر وثائق الثورة " اعتبر ذلك من دواعى المدافعة عن الوطن ، وأنه

واجب شرعى وسياسى "[٤١]. وعُد هذا الشيخ داعية للجهاد وقام بدور فعال فى الحث على التطوع[٤٢]. كذلك كان للنشاط المتزايد الذى قام به الشيخ عبد الجواد وأخوه - وهو من علماء الأزهر - فى الدعوة والتطوع وقتال الإنجليز ، وذهابهما إلى مقر معسكرات الجيش لنعكاساته المعنوية على المقاتلين[٤٣]. وراح طلبة الأزهر يجوبون الشوارع ويُوزعون المنشورات التى تحث على الجهاد فى سبيل الله[٤٤].

وانشغل العلماء على أرض مصر كلها بالتوسل والتضرع لله لينصر المسلمين ، فراحوا يقرءون البخارى فى الأزهر والحسين والسيد البدوى والمرسي أبى العباس ، بالإضافة إلى القراءة التى كانت تتم على أرض المعارك[٤٥]. كما أُقيمت الصلوات ليل نهار فى جميع المساجد من أجل نصرة عرابى وجيشه ، وعلى المنائر قام المؤذنون يبتهلون إلى الله بعبارات الاستغاثة وطلب النصر على العدو[٤٦].

وأضحى للخطابة الدينية على صعيد مصر أثرها الكبير فى تعبئة الرأى العام ، لأنها خرجت من بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه ، ومن على منابرها أعلن العلماء الجهاد الدينى وبينوا فضله وساقوا الأمثال عليه واستحضروها منذ عهد الرسول الكريم (ﷺ) وما أُعد للمقاتلين فى سبيل الله، واستشهدوا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وأثاروا المشاعر الدينية والحمية الوطنية . وتضمنت الخطب ما وصل إليه الحال فى مصر، وكيف أصبح الإسلام فى خطر ، وما يجب على المسلمين القيام به أمام ظلم وعدوان الإنجليز ، والمناداة بالمسارعة فى الدفاع عن شرف الوطن ، وبذل كل غال ونفيس فى سبيله ، وضرورة المآذرة والتعاون ، وفضل الاستشهاد فى سبيل الله والوطن ، وطُبعت هذه الخطب ووزعت وأثمرت بالنتائج المرجوة، حيث لبى المصريون النداء من كل حدب وصوب[٤٧].

والواقع أن رجال الدين قد غذوا الاتجاه الذى سيطر على المصريين وعقولهم وآمنوا به ، وتمثل فى سقوط نظام الحكم القائم على يد عرابي الذى سينتصر فى الحرب على أعداء الله ، وستؤهله إمكاناته ليكون حاكما عليهم، لأنه من السلالة النبوية الشريفة ، ليس هذا فقط وإنما أيضا لأنه ولى من أولياء الله الصالحين المكشوف عنهم الحجاب ، وراح العلماء يُؤكدون " أنه توجد نصوص قاضية بأن عرابياً سيتسلم ولاية مصر بدلاً من الخديو ، ويجرى رفع المظالم ويقطع دابر الإفرنج والأتراك ، وتبقى الحكومة لزمام المصريين

فى الوظائف ... وسيصير ملكاً للعرب عموماً بما فيهم الشام والحجاز "[٤٨].

وكان عرابى قد أرجع نسبه إلى الحسين – رضى الله عنه – وعلى ذلك أضفى عليه لقب " مولانا أمير المؤمنين سعادة أحمد باشا عرابى "[٤٩]. وسواء صح هذا النسب أم لا ، فإنه أعطى لزعامته مسحة شرعية إذا قورن بالأسرة المالكة حيث كثيراً ما تردد فى الاجتماعات الثورية " من هو محمد على باشا؟ إنه وافد ألبانى "[٥٠]. كذلك داوم العلماء على ترديد أن عرابياً خير من يحكم مصر " لأنه المحامى عن الدين والعرض والشرف " [٥١].

ومن المسلم به أن تدين عرابى خلق له هذا المركز الروحى وأوجد تلك العلاقة الوثيقة مع أهل وطنه ، وكثرت الأقاويل وانتشرت وأصبحت على ألسنة الناس فى كل مكان أن عرابياً منصور فى حربه مع أعداء الله ، وأن أولياء الله متداركونه بالنصر ، وفسرت الرؤى المختلفة حول ذات المعنى ، فتارة تلبسه السيدة نفيسة السيف ، وتارة يُؤيد أبو العباس المرسى خطواته ، لدرجة أنه بلغ الأمر أن أحد مشايخ الأزهر كون مسيرة وراح يهتف أن عرابياً هو منقذ الإسلام وزعيم العرب والمهدى المنتظر[٥٢] ، وكان لمثل هذه الأقوال القوة فى رفع المعنويات سواء للمحاربين أو لأفراد الشعب . أيضاً فقد بارك رجال الدين حلقات الذكر التى أقيمت على أرض مصر من أجل التقرب إلى الله لينعم بنصره على عرابى وجيشه ، وتواكب ذلك مع معتقدات العصر ، وكان له جانبه السلبى الذى أثر على أرض المعركة .

وتذخر وثائق الثورة بتلك الخطابات والبرقيات التي كانت تصل إلى عرابي والقادة في ساحة المعارك وتحمل الآيات القرآنية التي تبشر بالنصر على أعداء المسلمين[٥٣] . وبالطبع كان واضحا عليها بصمة رجال الدين . وآمن عرابى بالمهمة الملقاة علي عاتقه لدرجة أنه فى حديث له مع على مبارك يقول "إنى الآن بقيامى بحماية الدين والوطن قد اجتمعت على قلوب أهل القطر "[٥٤]. وأصبحت السمة الدينية لها المكانة والبريق ، وتردد دعاء " الله ينصرك يا عرابى بجيش المؤمنين " [٥٥] فى صلاة الجمع بكافة مساجد مصر .

وكان لعلماء الدين دورهم في مسألة جمع الأموال للجيش المحارب، إذ حثوا على التبرع بها، وقدموا تلك الصناديق المملوءة بنذور المساجد إلى المجهود الحربي[٥٦]. كما أسكنوا المهاجرين السكندريين منازلهم، وكفلوهم من حيث المأكل والمشرب[٥٧]، حتى لقد وصل الأمر أن أخلى الشيخ العدوى سرايته

"لينزل بها مائة من المهاجرين ورتب لهم خمسمائة رغيف كل يوم"[٥٨]. وقام منظمو الشعر منهم بإلقاء الأشعار الحماسية التي تثير الحمية الدينية وتمجد الوطنية وقائد الثورة وتدفع إلى خوض المعارك ضد الغزاة الإنجليز [٥٩] . ومن ذلك نخلص أن معين الأزهر لم ينضب طوال فترة الثورة العرابية ، وشكل قوة إيجابية أسهمت بتيارها الديني الجارف في إضفاء الشرعية على الخطوات الثورية.

الصفوة المستنيرة

برزت شخصية الشيخ محمد عبده منذ أن كان طالباً في الأزهر حيث تعددت نشاطاته ، وكانت الصحافة أحدها ، وما لبث أن تزعم تيار الإصلاح في صحيفة الوقائع المصرية ، إذ سخر قلمه فيها واضعاً نصب عينيه بلورة الرأى العام ، فتناول الموضوعات التي تدعو لتحرير الفكر من قيود التقاليد وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى[٦٠]. وقد بذل جهده في التوفيق بين الدين والعلم الحديث وبين القيم الإسلامية والحضارة الأوربية ، فمن رأيه أن الإسلام يهتم اهتماماً كبيراً بالعقل باعتباره وسيلة لكشف الحقيقة ، وكان يرى أن السبب فيما أصاب المسلمين من انحلال يرجع إلى خطأ ربط الدين بالسياسة [٦١] .

ويُعتبر محمد عبده القائد الفكرى للثورة العرابية ، وهو من الركائز الأساسية التي اعتمدت عليها ، وذلك بعد أن أيقن الدور التنويرى الذى أُلقى على عاتقه ، ومن ثم فقد تولى المهمة بنجاح ، وأصبح حامل لواء التيار الديني المتحرر ، وأعطاه موقعه على خريطة الصحافة القوة الدافعة لتحقيق مبادئ الثورة التي مضى قلمه في التعبير عنها ، وعرف الحرية وقسمها إلى حرية رأى وحرية قول وحرية انتخاب ، واحتلت الحرية السياسية المكانة لديه ، وشغل القانون حيزاً من فكره واتفق في تحليله له مع مونتسكيو ، واهتم بالشورى وربطها بالإسلام من ناحية وبالأفكار الغربية من ناحية أخرى ، وفسر معاني الوطن والوطنية ، وتطرق إلى الوطنية التي لا تفرق بين دين وآخر[٦٢]. ونادى بضرورة وحدة عناصر الأمة على اختلاف أديانها ومذاهبها لتتمكن من مواجهة أعدائها ، وركز على أن الدين للديان والوطن للجميع والدم واحد ، فالأب آدم والأم حواء ، وعلى المصريين جميعاً أن يعلموا أنه لا فرق بين المسلمين والأقباط[٦٣]. أيضاً رأى أن الوحدة الوطنية لا يجب أن تكون فوق الخلافات الدينية فحسب ، وإنما كذلك فإنها فوق الخلافات السياسية[٦٤]. وقد

تمكن من تجنيد بعض الأزهريين للعمل فى تحرير صحيفة الوقائع المصرية ، وكان من أشهرهم سعد زغلول ، والشيخ محمد خليل والشيخ عامر إسماعيل وعبدالكريم سلمان ، وبطبيعة الحال فإنهم ساروا على دربه.

وتمكن محمد عبده من بث أفكاره التحررية والبعيدة عن التزمت عن طريق الخطب التى كان يُلقيها فى الاجتماعات الثورية المكثفة ، إذ ترددت كلماته التى تغلغلت فى نفوس المستمعين وغذت عقولهم ، هذا بالإضافة إلى دوره الجوهرى فى وضع برنامج الحزب الوطنى(٦٥).

وعندما وقع الغزو البريطانى ، ووفقاً للاتجاه الدينى ، يُضاعف محمد عبده مجهوداته فى الحث على الجهاد فى سبيل الله ، وذلك بالتطوع فى الجيش، وبذل المعونات المالية، ويشرح ويُحلل كيف أن العدو هاجم مصر ظلماً وعدواناً، ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة(٦٦). ومن اللافت للنظر أن كلمته كانت هى النافذة على قادة الثورة الذين اعتبروه إمامهم ومفكرهم، وهو الذى وضع أيديهم فوق يديه ليكون القسم على المصحف الشريف(٦٧)، من أجل مصر.

واستمر محمد عبده حتى آخر الوقت عنصراً حيوياً فى الثورة ، متقداً حماسة وغيرة عليها ، ساعياً ومبرهناً على إخلاصه لها ، مؤمناً بمبادئها وتحركاتها ، باذلاً كل الجهد من أجل نجاحها ، وهى الأخرى قد شهدت له بأنه صبغها بالتسامح الدينى وبعد بها عن التعصب والجمود.

أما شخصية عبد الله النديم فقد أسهمت بدور مهم وعميق فى الثورة ، وحملت لواء التسامح الدينى ، إذ تأثر النديم بالنشأة الدينية من ناحية ، وبثورية الأفغانى من ناحية أخرى ، وعليه تمكن من النزول إلى ميدان العمل الوطنى مصطحباً معه طاقاته المتعددة والفياضة ، حيث وجد فيه قادة الثورة الأداة التى تحقق لهم ما يسعون إليه ، ومن ثم أصبح اللسان الناطق باسمهم.

ومضى النديم فى تحركاته يُعمق الأفكار المستنيرة بين المصريين ، ويُنادى بتطبيق المبادئ الإسلامية ، ويُطالب بالتآلف والوئام بين عناصر الأمة ، ويُشخص الأمراض الاجتماعية ويبحث عن حلول لها ، وينهى عن العادات التى أُلصقت بالدين وهو منها برئ ويسخر منها(٦٨).

وعندما وقع الغزو البريطانى على مصر ، شن النديم حملاته على السياسة الإنجليزية ووجه نداءاته للعرب والمسلمين يثيرهم على الإنجليز ويُعبئ

شعور الكراهية لهم ويسرد أعمالهم الوحشية[٦٩]. وقد استخدم الصحافة جيداً فى نقل اتجاهاته ، كما اعتلى منابر المساجد فى تنقلاته ، وألقى خطبه الملتهبة ، تلك التى طُبعت ووزعت فى أنحاء مصر كلها ، وهو دائما يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، ويسترسل فى الشرح ويحث على التمسك بهما ، ويستحضر صور الكفاح والبطولات فى التاريخ الإسلامى[٧٠] ، وقد أثمر ذلك السلوك لأنه يتفق مع طبيعة المصريين الذين تفيض مشاعرهم بذكرى الماضى ، ومن هذا المنطلق أُطلق عليه " خطيب الثورة العرابية ".

ولم يكن محمد عبده والنديم وحدهما اللذين حملا لواء تعميق وترسيخ مبدأ التسامح الدينى ، إذ واكب ذلك الاتجاه مثقفو الثورة ، وبرز فى هذا المجال حسن الشمسى محرر صحف المفيد والسفير والنجاح ، فكتب عن الشورى وارتباطها بالإسلام ، ورد على ما ردده الإنجليز عن تعصب المصريين فقال " إن الأديان جاءت مبينه للعقائد والمعاملات ، فليس فيها ما يدعو المرء إلى إظهار موجبات الكراهية لمن خالفه فى العقيدة ، بل أظهرت لنا أننا لا نرفع سلاح الكراهية إلا فى وجه من حاربنا منهم ، ونهتنا عن توجيه الإيذاء لمن كان بيننا وبينهم مودة "[٧١]. وكثرت مقالاته التى تشجع على الجهاد المقدس وتطالب ببذل العطاء والتفانى من أجل الوطن[٧٢].

ولما كان للقضاة فى مصر المركز الدينى والهيبة الاجتماعية ، فقد أثروا بتوجهاتهم على المصريين ، لذا فإنه حينما وقع العدوان الإنجليزى ، أعلنوا الجهاد وصرحوا بأن الحرب دينية " وأن من مات بالمحاربة يموت شهيداً ، وأن أفضل الأعمال بعد الإيمان الجهاد فى سبيل الله "[٧٣]. بالإضافة إلى ذلك دعا القضاة الناس للمشاركة الروحية عن طريق قراءة عدية يس والبخارى صباحاً ومساء ، وخاصة فى المساجد والأضرحة والأماكن الطاهرة " بقصد نصرة الإسلام وفك الكرب عن المسلمين " [٧٤]. وعلى ذلك يتضح أن الصفوة التى حملت الأفكار التحررية فى التيار الإسلامى قد قامت بدور إيجابى ومؤثر فى الثورة العرابية.

مقياس الارتباط بالدولة العثمانية

أدرك التيار الدينى فى الثورة العرابية ضرورة تحديد العلاقة مع الدولة العثمانية، صاحبة الهُوية الإسلامية والولاية الشرعية على مصر، وذلك بالتفرقة بين السلطتين السياسية والدينية، بحيث تكون الرؤية لها عبر المركز الدينى

للسلطان الذى يجب طاعته طالما كان عادلاً لأن هـذا الأمـر واجـب علـى المسلمين، ويسجل محمد عبده القول "كان يُحتم قبول الخلافة كرمز لقوة الإسلام ونهضته وبعثه"[٧٥]. ومن هذا المنطلق يصرح النديم أن الدولة العثمانيـة هـى الدولة التى تقع بين ثمانى عشرة دولة مسيحية[٧٦]. بينما يُـردد عرابـى "كلنـا أبنـاء السلطان، ويجب علينا أن نعيش كأسرة فـى مـنزل واحـد، وكمـا أن أعضـاء الأسرة يكون لكل منهم غرفة ينظمها حسبما يهوى، ولا يحـق لـرب البيت أن يستبيح حرمتها، كذلك لكل شعب من الشعوب الإسلامية بـلاد يعيـش فيها، يُنظمها وفقاً لما يريد، وقد كسبت مصر استقلالها بالفرمانـات وسـتحافظ على ذلك"[٧٧].

معنى هذا أنه كان هناك قبول لذلك الرباط بالدولة العثمانية على أسـاس أنها علاقة دينية ، وأن وضع مصر الدولى جعلها تدور فى فلك هذه الدولـة ، وأنه أمام الأطماع الأجنبية لابد من الاستناد على إستنبول ، خاصة بعد إعـلان الحماية الفرنسية على تونس ، ولكن فى إطار أن يكون الدور إسـلامياً وفـى أضيق الحدود[٧٨].

وعلى الجانب الآخر ، رأى السلطان عبد الحميد إمكانية الاسـتفادة مـن الثورة العرابية لتحقيق سياسته ، ومن ثم التقى الطرفان بهدف وصول كل إلـى غايته ، فأرسل السلطان بعثة نظامى باشا فى أكتوبر ١٨٨١ ، وتبعتها زيـارات سرية لمندوب عبد الحميد للعمل على تقوية العلاقة بين قادة الثورة والسـلطان ، وعليه سرى الاطمئنان بين صفوفهم بعد أن وجدوا التأييد لخطواتهم من الدولـة صاحبة السيادة الشرعية على مصر، لكنهم فى الوقت نفسه كانوا على يقين مـن أن أى خروج عن النص سيُغير من سياستهم، وقد صرح محمد عبده بذلك لبلنت وبين أنه لو تدخل الأتراك فى شئون مصر "فإننا سنغتنم هذه الفرصة لكى نحقق تمام استقلالنا"[٧٩].

ومن المسلم به أنه لم يكن للأتراك المكانة فى قلوب المصريين، إذ نمـت مشاعر الكراهية وأفصحت عن نفسها مع تقدم خطوات الثورة، وفكر قادة الثورة فى إمكانية الإطاحة بتبعية مصر للدولة العثمانية، وأن تكون أرض الكنانة مقـراً للخلافة الإسلامية[٨٠]، حيث فضل العرب على بقية الأجناس، وأنـه يكفـى أن القرآن الكريم قد نزل بلغتهم، وذلك عندما بدءوا يشعرون أن السلطان لم يُقـدم لهم المسـاعدات المرجـوة.

ويذكر صابونجى فى مراسلاته إلى بلنت فى يونيو ١٨٨٢ أن قادة الثورة يلعنون السلاطين والجنس التركى من جنكيزخان إلى هولاكو إلى عبد الحميد ، وأنه فى حالة تدخل الأتراك عسكرياً سيُعلنون الاستقلال عن الدولة العثمانية ويُنادون بالجمهورية ، وأن النديم يُوجه جهوده لتهيئة المصريين نحو ذلك[٨١]. ومن ثم أصبح شعار " مصر للمصريين " واضح المعالم وواسع الانتشار.

وأيقن عبد الحميد تجاه الثوار ، فأرسل بعثة درويش باشا فى يونيو ١٨٨٢ لمساندة الخديوى، ولإغراء قائد الثورة للذهاب إلى إستنبول[٨٢]. ولكن فى الوقت ذاته لم يُغلق السلطان باب الاتصال بالثوار، وقد ساعدته بصفة عامة المشاعر المصرية المرتبطة بالإسلام والتى وضحت إبان استقبال البعثة سواء فى الإسكندرية أو طنطا أو القاهرة، إذ علت صيحات العامة "الحادى نصر الله.. الكل دين الإسلام، الحادى نصر الله.. الكل مولانا السلطان، الحادى نصر الله.. الكل عساكر الإسلام"[٨٣]. ولكن عندما التقى درويش باشا بالعلماء كانت الجلسة ثورية، وانتهت بأزمة حادة بين الطرفين، حيث طالبوا بأن يقوم السلطان بدور عملى فى وقف التدخل الأجنبى الذى تمثل فى المذكرة المشتركة، وعزل الخديوى[٨٤].

وتغذية للتيار الإسلامى ، وبعد أن سرت شهرة عرابى كبطل من الأبطال المناضلين من أجل انتصار الإسلام على الصعيدين العربى والإسلامى ، رأى قادة الثورة الاتصال بشريف مكة - المناوئ للسلطان - وراح عرابى يصرح بالقول " نحن سنيون ، ونعلم أن منقذ الإسلام سيأتى من قريش "[٨٥]. هذا ويجب أن نضع فى الاعتبار ما كان يُردده بشأن نسبه الشريف.

وفى واقع الأمر، فأن الغزو البريطانى لمصر قد عُد غزواً مسيحياً لأرض إسلامية ، ففى برقية من الكونت جولوشفسكى السفير النمساوى فى باريس إلى وزير خارجيته يفيد بأنه " بلغه من جدة ومصوع أن المسلمين هناك تغلى فيهم كوامن الهياج ، وأن هذه الحالة حدثت أثر الأخبار التى أُذيعت فيهما "[٨٦]. وبالطبع كانت تتضمن العدوان الإنجليزى على مصر.

كذلك يقول صابونجى فى رسالة له إلى بلنت فى يوليو ١٨٨٢ " منذ يومين كنت مع عرابى ، فأتاه رجل عربى بخطاب ، ففتحه وتلاه على وعلى الضباط الآخرين ، وقد كتبه حافظ الكعبة المصاحب لشريف مكة ، وكان الخطاب مكتوباً بأسلوب راق مليئاً بالمدح ويقول كاتبه (إن شعب مكة يُصلى

لنصرة عرابى ، وأن تلك الصلوات تقام عند حجر إسماعيل وزمزم وفى عرفات ومنى من أجل نجاحه) ، ولم يتردد صاحب الخطاب فى منح عرابى لقب حامى حمى الإسلام والدولة الإسلامية ، مبيناً أن الحجاز كله معه "[٨٧] .

واتصل قادة الثورة بالسنوسى فى طرابلس الغرب ، وتواجد المغاربة في اجتماعات عرابي "يعدونه ويمنونه ويقرءون له الأحزاب والأوراد لينال مرغوبه"[٨٨]. وصرح علماء طرابلس وتونس لمندوب السلطان بأن نجاح قضية الإسلام في شمال إفريقيا بل وجوده يتوقف على بقاء عرابى فى الحكم [٨٩] . وأشادت الصحافة به فى تونس ولقبته بحامى الإسلام والعرب ، وأُقيمت الصلوات فى مسجد القيروان ، وتردد الدعاء بالنصر لعرابى وبهزيمة الإنجليز[٩٠].

وكما هو معلوم فإن الثورة المهدية تأثرت بالثورة العرابية، أيضاً وُضعت الشام نصب أعين قادة الثورة لإثارة الحمية الدينية، فقد سافر بعض علماء الأزهر إلى دمشق حيث اجتمعوا بعلمائها موضحين لهم "أن مصر هي باب الكعبة وبيضة الإسلام، وأن هدف الإنجليز هو القضاء على الإسلام والاستيلاء على الكعبة الشريفة، وأن على كل مسلم أن يهب لمساعدة عرابي بقواته وأمواله، طالما أن هذه الحالة تعيد إلى الأذهان قصة العرب في أسبانيا"[٩١]. وتعاطف مسلمو الهند مع الثورة المصرية، وتسجل صحيفة الستاندرد اللندنية "أن حوادث مصر قد شغلت بعض الهنود، وأن أهالى كلكتا أقاموا الصلوات في المساجد لنجاح ثورة عرابي باشا"[٩٢]. وحللت صحيفة الطائف أسباب تزمر مسلمى الهند وأرجعته إلى ما يلاقونه إخوانهم فى الإسلام بمصر"[٩٣].

وفى عقر دار الدولة العثمانية، كان الرأى العام معضداً للثورة المصرية، واعتبر العلماء أن عرابياً هو بطل الإسلام ، ويُصور مندوب الخديوى فى الآستانة الموقف الحماسى للأتراك حيث يقول " العوام هنا وكثير من الرجال والعلماء يتمنون انتصار عرابى " [٩٤] . وأُقيمت الصلوات فى المساجد التركية ، وكثرت الدعوات من أجل قائد الثورة لدرجة أن أحد الخطباء دعا إلى حمل السلاح مرددا " إذا ما طلب عرابى مالاً جمعناه له ، وإذا ما طلب جنودا فسنحمل جميعاً السلاح لمساعدته ، إنه رجل مبعوث من قبل الله " [٩٥].

وانتشرت هذه الأخبار على أرض مصر ، وراح الثوريون يُذيعونها " إن جيش عرابى منصور ، وأن تونس وطرابلس الغرب والحجاز ومسلمى الهند

وبر الشام أخذ أهاليها الحمية الدينية ، وأصبحوا على استعداد للحضور إلى مصر التى هى للعرب لا للترك ، وأنه ليس بها سوى عرابى الجارى منه المقاومة والمدافعة لحفظ الوطن والدين " [٩٦] . ويكتب أحمد رفعت رئيس قلم المطبوعات فى صحيفة التان الباريسية ليسجل مآثر عرابى وأنه " حائز لميل عموم المسلمين ومحبتهم " [٩٧] .

وأمام هذا الفيض من التأييد الإسلامى للثورة المصرية ، والتعضيد والمآزرة لقائدها ، التهب قلب السلطان غيرة من عرابى وحقداً عليه ، فى وقت استخدمت فيه السياسة البريطانية كافة أسلحتها لتحقيق هدفها في وأد الثورة ، وركزت على أن تحول السلطان نهائياً عنها ، الذى سرعان ما استجاب وكتب إلى علماء مصر يطلب منهم العمل على منع إرسال المؤن والمتطوعين إلى ميدان القتال ، ولما لم يأت ذلك بالنتيجة المرجوة ، وبناء على المجهودات البريطانية التى أيقنت مدى تأصل وعمق الناحية الدينية لدى المصريين، كان صدور منشور عصيان عرابى من السلطان الذى اتسع انتشاره ، فوصل إلى الهند وأفغانستان والعراق والحجاز والمغرب والأناضول ، بالإضافة إلى توزيعه داخل مصر خاصة على أرض المعركة ، ومن ثم كان له الأثر فى الجيش ويسجل عرابى قوله فى هذا الشأن " وتزمر بعض أمراء العسكرية وقالوا إننا إذن عصاة على السلطان مخالفين لكتاب الله وسنة رسوله ... ومن مات منا عاصياً لا أجر له مثل الذين ماتوا من المصريين فى قتال الدولة العلية " [٩٨] . وعلى ذلك حدث صدع فى الثورة المصرية ، وتمكنت الدولة العثمانية عن طريق التأثير الدينى أن تحقق ما خططته لندن لتلك الثورة .

وهكذا يتجلى لنا الدور الذى أداه الدينى فى الثورة العرابية ، وكيف انه حمل بين طياته ما قام به الأزهر حيث الإسهامات الفعالة التى قدمها علماؤه بصفة عامة ، والصفوة من المثقفين الذين أُلقى على عاتقهم إقصاء التعصب والبعد عن المغالاة وإرساء قواعد الدين الإسلامى الحنيف وتوثيق مبدأ التسامح الدينى بصفة خاصة ، وأخيرا نوعية العلاقة التى ربطت هذا التيار بالدولة العثمانية صاحبة المكانة الإسلامية.

الهـــوامش

١- قلينى فهمى ، مذكرات قلينى فهمى باشا ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، مطبعة صادق ، المنيا ، ١٩٤٧، ص ٢٧ .

2- Cromer, The earl of, Vol. London, 1908,PP.99, 100 .

٣- مرآة الشرق ، عدد ٢٤ في ١٧ مايو ١٨٧٩ ، الوقت ، عدد ٦٢٠ في ١٩ مايو ١٨٧٩ .

4- Duse, M., In the Land of the pharaohs, First edition, London, 1911,P.18, Blunt, W.S., Secret History of the English Occupation of Egypt, Second edition, London, 1907,. P.125.

5- Marlowe, J., Cromer in Egypt, London, 1970,P.57.

٦- محمد عبده ، مذكرات جمعها وقدمها طاهر الطناحى تحت عنوان مذكرات الإمام محمد عبده ، الهلال ، القاهرة ، أبريل ١٩٦١ ، ص ٥٧، أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الأول ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٣٤ ص١٠٩ .

٧- إبراهيم الهلباوى ، مذكرات تاريخ حياة إبراهيم الهلباوى ، الجزء الأول ، محفوظة بدار الوثائق القومية ، ص ٦ .

٨- عبدالفتاح نديم ، سلافة النديم فى منتخبات السيد عبد الله النديم ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩١٤ ، ص٧، التجارة ، عدد ١٩ أبريل ١٨٧٩ ، الوقت ، عدد ٩٩١ فى ١١ ديسمبر ١٨٨٠ .

٩- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٢٢ ، دوسيه ١٩ ،

Blunt, Secret History of the English Occupation of Egypt, P.165.

١٠- محمد عبده ، المصدر نفسه ، ص١٤٤.

11- Broadley, A.M., How We Defended Arabi and His Friends, London, 1884, P.115,

- أحمد عرابى ، تقرير ، مطبعة الجامعة بمصر ١٨٨٢ ، ص ص٧،٨ ، سليم خليل النقاش ، مصر للمصريين ، الجزء الرابع ، الإسكندرية ، ١٨٨٤ ، ص١٢.

12- Biovés, A., Francais et Anglais en Egypte 1881- 1882 , Paris, 1910, P.45.

١٣- المفيد ، عدد ١٨ فى ٢٣ ديسمبر ١٨٨١.

١٤- أحمد عرابى ، تقرير ، ص ص١٨٢ ، ١٨٣.

١٥- أحمد شفيق ، المصدر المذكور ، ص١١٨.

16- Polit, Arch, Alex. Fasz, xxxviii / 195, 5 Dec., 1881.

١٧- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٩ ، دوسيه ٧٠.

18- Polit, Arch, Op.Cit.

١٩- محافظ الأبحاث ، محفظة ١١٦ ، ١٤ محرم ١٢٩٩؟ (٧ ديسمبر ١٨٨١).
٢٠- الوقائع المصرية ، عدد ١٢٧٨ فى ١١ ديسمبر ١٨٨٢.
21- Polit, Arch, Alex, 144 / 13, 151 / pol, 9, 18 Dec. 1881.
22- The Times, April 18, 1882.
٢٣- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، دوسيه ٥٣ / أ.
24- The Times, May 25, 1882.
٢٥- الفسطاط ، عدد ٧ فى ٣١ مايو ١٨٨٢ ، محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٢٠ ، دوسيه ١٧٤.
26- Blue Books, Egypt No. 8 (1882), No 117, Malet- Granville, Cairo, May 28, 1882, P.49.
٢٧- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٩ ، دوسيه ١١٣.
٢٨- الوقائع المصرية ، عدد ١٤١٣ فى ٢٠ مايو ١٨٨٢.
٢٩- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، دوسيه ٤٤ ، محفظة ١٤ ، دوسيه ٣١٨ / ب.
٣٠- المصدر نفسه ، محفظة ١٥ ، دوسيه ٣٤٦ ، أحمد شفيق ، المصدر المذكور ، ص١٥٢.
٣١- محافظ الثورة العرابية، محفظة ٨ ، دوسيه ٥٣ / أ.
٣٢- أحمد عرابى ، تقرير ، ص١٣.
33- Blunt, Secet History of the English Occupation of Egypt, P.330.
٣٤- عبد اللطيف حمزة ، العقدة الشركسية عند مدرسة الشيخ محمد عبده ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ص١٣،١٤.
٣٥- الفسطاط ، عدد ١٠ فى ٢١ يونيو ١٨٨٢.
٣٦- تقريرات وشهادات مقدمة من كبار الموظفين المصريين والأجانب إلى لجنة التحقيق عن معلوماتهم عن الحوادث العرابية ، ص٢٨.
٣٧- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٢ ، دوسيه ١٩٣.
٣٨- المصدر نفسه ، محفظة ٧ ، دوسيه ١٠ ، محفظة ٩ ، دوسيه ٨٤.
٣٩- المصدر نفسه ، محفظة ١٦ ، دوسيه ٣٨٤ / أ ، محفظة ١٨ ، دوسيه ٥٣ ، محفظة ٧، دوسيه ٣٨ ، محفظة ١٠ ،دوسيه ١١٥ ، Broadley, Op.Cit., P.503
٤٠- المصدر نفسه ، محفظة ٢١ ، دوسيه ١٢ ، محفظة ٨ ، دوسيه ٥٠ ، Ibid, PP.157-177.
٤١- المصدر نفسه ، محفظة ٨ ، دوسيه ٥٣ / د / ٤.
٤٢- الوقائع المصرية ، عدد ١٤٥٨ فى ١٥ يوليو ١٨٨٢.
٤٣- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤١ ، دوسيه ٢.
44- Biovés, Op.Cit., P.131.

٤٥- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، دوسيه ٥٣ / د / ٤ ، محفظة ١٠ ، دوسيه ١١٥، محفظة ٤١ ، دوسيه ٢ ، الوقائع المصرية ، عدد ١٤٥٩ فى ١٦ يوليو ١٨٨٢.

46- Broadley, Op.Cit, PP.173, 502.

٤٧- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، دوسيه ٤٤ ، الوقائع المصرية ، أعـداد ١٤٦٢ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٦ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨٤ ، فى ٢٠ يوليو ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٨ أغسـطس ، ٤-١٠ سبتمبر ١٨٨٢.

٤٨- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٧ ، دوسيه٢٤ ، محفظة ٣ ، دوسيه ٢٤١ ، دوسـيه ٢٥٧ .

٤٩- الفسطاط ، عدد ١١ في ٢٨ يونيو ١٨٨٢ .

50- Chaillé – Long – Bey, Les Trois prophétes: Le Mahdi, Gordon, Arabi, Paris, 1886, P.101.

٥١- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٩ ، دوسيه ٨٤.

٥٢- المصدر نفسه ، محفظة ٧ ، دوسيه ٢٤ ، دوسيه ٣٥ ، محفظة ٨ ، دوسـيه ٥٣ / د / ٢، محفظة ١٠ ، دوسيه ١٧٦ / ب ، Biovés, Op.Cit., P.40.

٥٣- المصدر نفسه ، محفظة ٨ ، دوسيه ٥٣ / د / ٢.

٥٤- المصدر نفسه ، محفظة ١٩ ، دوسيه ١٤٠.

٥٥- المصدر نفسه ، محفظة ١٤ ، دوسيه ٣٠٨.

٥٦- الوقائع المصرية ، عدد ١٤٨٠ فى سبتمبر ١٨٨٢ ، Bréhier, L., L'Egypte de 1798 – 1900, Paris, 1900, P.207.

٥٧- الوقائع المصرية، عدد ١٤٥٨ فى ١٥ يوليو ١٨٨٢.

٥٨- المصدر نفسه ، عدد ١٤٧٠ فى ١٠ أغسطس ١٨٨٢.

٥٩- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، دوسيه ٥٠.

٦٠- عبد اللطيف حمزة ، المرجع المذكور ، ص ص٦٥ ، ٦٦.

٦١- أحمد عبد الرحيم مصطفى ، تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، قسـم البحـوث والدراسات التاريخية والجغرافية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ص ٣٥ ، ٣٦.

٦٢- الوقائع المصرية ، أعداد ٧ فبراير ، ١٠ ، ٢٨ نوفمبر ، ١٢ ، ٢٥ ديسمبر ١٨٨١.

٦٣- المصدر نفسه ، العددان ١٠٦٥ ، ١٤٨٣ فى ١٩ مارس ١٨٨١ ، ٩ سبتمبر ١٨٨٢.

٦٤- المصدر نفسه ، عدد ١٣ نوفمبر ١٨٨١.

65- Broadley, Op.Cit., P.228, Blunt, Secret History of the English Occupation of Egypt, PP.556 – 559

٦٦- الوقائع المصرية ، العددان ١٤٥٥ ، ١٤٥٧ فى ١١ ، ١٣ يوليو ١٨٨٢.

٦٧- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٥ ، دوسيه ٣٤٤.

٦٨- التنكيت والتبكيت ، عدد ١٠ فى ١٥ أغسطس ١٨٨١.

٦٩- الطائف ، العددان ٣ ، ٧ أغسطس ١٨٨٢.
٧٠- الوقائع المصرية ، عدد ١٣٣٩ فى ٢١ فبراير ١٨٨٢.
٧١- المفيد ، عدد ٢٤ أكتوبر ١٨٨١.
٧٢- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٠ ، دوسيه ١١٤.
٧٣- المصدر نفسه ، محفظة ٧ ، دوسيه ٤١ ، محفظة ١٢ ، دوسيه ٢٠٥.
٧٤- المصدر نفسه ، محفظة ١٢ ، دوسيه ٢٠٥.
٧٥- عبد العاطى محمد أحمد ، الفكر السياسى للإمام محمد عبده ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص١٦٥.
٧٦- عبد الفتاح نديم ، المصدر المذكور ، الجزء الثانى ، ص٦٨.
77- Blunt, Secret History English Occupation of Egypt, P.251.
78- Archives de Maison de cour et d'etat, Vienne, Fasc xxxı / 9, No 57 / pol, Mars, 1882.
79- Blunt, Secret History of English Occupation of Egypt, P.251.
80 Blunt, My Diaries, Vol.II, 450.
81- Blunt, Secret History of English Occupation of Egypt, PP.344, 345, 347.
82- Broadley, Op.Cit, P.472, Ninet, J., Arabi pacha, Paris, 1884, P.90.
٨٣- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، دوسيه ٥٣ / د / ٦. واستمرت الهتافات وزبد عليها " أتاكم الموت يا كفار .. أتاكم الموت بحرق النار .. يا لطيف يا جبار إهلك عسكر الكفار " .
- Br'ehier, op.cit., P.212, Chaillé, Op. Cit, p. 129,
- ميخائيل شاروبيم ، الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، الجزء الرابع ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ص٢٩٧ ، ٣٣٢.
٨٤- الأحوال ، عدد ٥ فى ١٣ يونيو ١٨٨٢.
85- Broadley, Op.Cit., 496.
٨٦- الأرشيف النمساوى ، محفظة ١٧ ، المجموعة ٣١ / ٢٧ ، ١٦ أغسطس ١٨٨٢.
87- Blunt, Secret History of English Occupation of Egypt, P.553.
٨٨- محمود فهمى ، البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ، الجزء الأول، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٨٩٤ ، ص٢٣٦.
٨٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الثورة العرابية ، المكتبة الثقافية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص١٠٢.
90- Broadley, Op.Cit., P.17.
٩١- أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الثورة العرابية ، ص١١٠.

٩٢- الوطن ، عدد ٢٤٤ فى ٤ أغسطس ١٨٨٢.
٩٣- الطائف ، عدد ٢٨ يونيو ١٨٨٢.
٩٤- محافظ الأبحاث ، محفظة ١١٦ ، ٦ سبتمبر ١٨٨٢.
٩٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الثورة العرابية ، ص ص١١١ ، ١١٥.
٩٦- محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٦ ، دوسيه ٣٨٩.
٩٧- المصدر نفسه ، محفظة ٧ ، دوسيه ٣٨.
٩٨- أحمد عرابى ، كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بـــالثورة العرابية عام ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ هجرية الموافق ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ميلادية ، الجـــزء الثـــانى ، مخطوط لدى دار الكتب ، ص٣٩٠.

obeikan.com